مقاربة التداولية العامة في الفكر الفلسفي المعاصر.

خن جمال

جامعة وهران2 محمد بن أحمد.

تاريخ الإيداع: 2017/11/30 تاريخ القبول : 2017/12/2

الملخص :

يبحث هذا المقال في وظيفة الكلام من حيث هي تنسيق لأفعال البشر الفاعلين و تقليص صراعاتهم و من ثم تحقيق الإجماع القائم على العقل و يعود الدور لتحقيق هذا المبتغى للّغة، حيث الطريقة التى يعمل بها الكلام parole على تشكيل إجماع بيذاتي هو المعنى البراجماتي للكلام ، فالمعنى البراجماتي هو الذي يحقق الإجماع بطريقة كلامية وتسمى بالبراجماطيقا لأنها لاتجريد و لا معنى صوري فيها ، أما الصحة فتعني تطابق الإجماع مع الأسباب فلا يمكن الحديث عن الصحة إلا إذا حقق ملفوظ ما الإجماع كما تسمى بالكلية أو العامة لأن المعنى فيها مرتبط بالملفوظات و الفرضيات وهذه كلها تعتمد على الأسباب و تكون مشتركة بين الجميع ، ولقد استعمل هابرماس نظرية المعنى في نفس سياق نظرية الفهم و ذلك من أجل إيجاد حل لإشكالية فهم المعنى من خلال إستبعاد ما كانت تتبناه فلسفة الوعي التى تحدد المعاني بعلاقة المتكلم بالعالم الخارجي و التأكيد على علاقة المتكلم بمحاوريه في تحديد المعنى و من ثم فاننا مانريد ابرازه في هذا المقال هو أن المعنى تذواتي و ليس ذاتي،بمعنى أن الحقيقة بيذاتية وليست ذاتية .

الكلمات المفتاحية :

التداولية العامة،البراجماطيقا، الحقيقة والمعنى ،الجملة والملفوظ،التأويل ،الفينومولوجيا،الوضعية المثلى للكلام،المعايير،الصلاحية

Résumé:

Le présent article vise à explorer la fonction de la parole, en ce qu'elle est une coordination des actes des acteurs humains et assure la réduction des conflits. Ainsi elle permet de réaliser un consensus basé sur la rationalité. La réalisation de cet objectif est possible grâce à la langue. C'est le sens pragmatique qui permet de réaliser le consensus par le discours, appelé aussi la pragmatique car elle est dépourvue d'abstraction. Cependant la santé signifie la conformité du consensus avec les causes et on ne peut parler de santé, si le mot réalise le consensus car le sens est lié aux mots. L'hypothèses et ces derniers dans leur totalité s'appuient sur les causes qui sont communes à l'ensemble. Habermas a utilisé la théorie du sens dans le même contexte de la théorie de la comprehension, Son but etait de trouver une solution à la problématique de la compréhension du sens, par la relégation des fondements de la philosophie de la conscience. Cette solution définit le sens par la relation du locuteur avec le monde extérieur en insistant sur la relation du locuteur avec

ses interlocuteurs.. Ce que nous voulons donc montrer par le biais de cet article que le sens est à la fois interpersonnel et non personnel. Et que la réalité est interpersonnelle et non personnelle.

Mots clés: pragmatique générale; pragmatique; la réalité et le sens; la phrase et le mot; l'interprétation; la situation idéale de la parole; les critères; la validité.

مقدمــة :

إنّ اللّغة لا يجب أن يقتصر دورهاعلى البيان أو الدّلالة فحسب مثلما تعتقده الفلسفة التحليلية بل يجب أن يتجاوز ذلك فتعني اللغة التداولية بالأفعال و الخطاب ،وبالتالي الإنتقال من الكفاية اللّغوية الى الكفاية التواصلية.فاللغة أقرب إلى التداولية لأن الفرد لا يمكنه اختراع لغة خاصة به ، بل يتداولها بينه و بين ذاته أولا، ثم بينه و بين الأخرين فهو مضطر للكلام بصفة تداولية و إلّا تعذر فهمه من طرف الآخر و من ثم يكون كلامه قابلا للقول و الفهم معا ، و هذا ما يجعل التدوالي يختلف عن التواصلي حيث اللغة عند التدوالي هي لغة بدون جسد و من ثم تصبح اللغة لا موطن لها و في هذا الاطارينبّه فريج أن " اللغة العلمية تتقصد التطابق مع المعنى أي تهتم بالايصال في حين أن الخطاب اليومي مشحون باغراءات وزواجر الفعل التواصلي باعتباره يستند أصلا إلى قوانين التداول العفوي بين الأفراد و الجماعات "[1].

يمكن القول أن اللغة حاملة لشروط التخاطب و متضمنة لمقتضيات الحوار و التفاهم و هذا ما يصطلح عليه بالإنعطاف اللساني أو اللغوي الذي تم في الفلسفة المعاصرة، وبفضل إكتشاف هذا الإنعطاف تم اكتشاف الإمكانيات الحوارية المتضمنة في وضعيات التخاطب و في أفعال اللغة، فاللغة تتضمن" قدرة تواصلية و تؤسس بين المتحاورين إلتزامات متبادلة و متعاقد عليها و تساهم في بناء تجارب مشتركة" [2] . فما المقصود بالتداوليات العامة ؟ وإلى أيّ مدى ساهم المنعطف اللّغوي التداولي في تطوير مفهوم التواصل ؟وماهو دوره في الحوار؟ وماهي قواعده وشروطه؟

البراغماتية العامة:

أ- البراغماتية العامة والتفسير الهرمونيطيقي:

لقد حدد مجمع اللغة العربية في معجمه الفلسفي كلمة **البراجماتي** *pragmatique*كل "ما يهدف إلى النجاح أو إلى منفعة خاصة . أمّا عند كانط فهو التسليم بأمر لضرورة عملية " [3] أمّا التفسير فيعني أن اللغة و الفعل يفسران بعضهما بعض تداوليا، هذه العلاقة يسميها **فيتجشتين بالألعاب اللغوية** *Jeux de la langage* ، فالمفسر

الهرمونيطقي يجب عليه تعلم اللغة التي يريد أن يفسرها ومنه يستطيع فقط أن يمارس عمله التأملي إنطلاقا واعتمادا على اللغة المتداولة ذلك لأن " اللغة الهرمونيطيقية إنما هي مختزلة في التفاعلات المتوسطة المرتبطة باللغة المتداولة مثلما أن العلوم التجريبية التحليلية مختزلة في دائرة وظائف الفعل الأداتي" [4] و من ثم تكمن وظيفة الهرمونيطيقا في المشاركة في الحوار و التفاهم و التواصل المرتبط باللغة المتداولة في الفعل ضمن معاييره العامة على العكس تماما من وظيفة العلوم التجريبية التحليلية التى تهدف إلى كشف الحقيقة بطريقة ترنسندنتالية للتحكم التقني ،بهذا اختلفت المصلحة عند كل منهما ،حيث المصلحة التي توجه علوم الروح مصلحة عملية هدفها حفظ مشاركة التفاهم بين الذوات، بينما مصلحة العلوم التجريبية التحليلية متجهة نحو إدراك الحقيقة المموضعة للتأمل الذاتي للعلوم الروحية و العلوم الطبيعية ،لذلك نجد هابرماس يؤكد دائما من خلال تشخيصه للنظريات و المقاربات المعاصرة على "أن النظريات العلمية تنتج معارف قابلة للإستعمال لكنها لا تنتج معارف توجيهية أو موجهة للمعاملة "[5] ومن ثم فهي معارف مصلحية و لا تخدم الإنسان.

لقد وجه هابرماس إنتقادات عديدة لهرمونيطيقا **غادامير** إذ يرى هذا الأخير أن كل حوار بين ذات و أخرى حوار صادق و لم يضع في حسبانه وجود الحوار الزائف الذي يحوله إلى إيديولوجيا على عكس ما تفعله نظرية الأفعال الكلامية التى تبحث "في شروط التواصل إذ تتناول بعض القواعد العامة التواصلية التي تهدف إلى تبيان الشروط اللازمة لاستعمال الموقف، أي إستعمال المفهوم و الموقف للجمل في منطوقات أو عبارات كلامية ذلك أن التداولية العامة معنية بتحليل اللغة المستخدمة كفعل إجتماعي و فعل تواصلي " [6]فالبراغماتية تعني فلسفة اللّغة التى تتخطى التحليل الدلالي إلى التركيز الإستعمالي الحي للغة الذي يراهن على الفهم المتبادل حول شيئ ما و من ثم إذا كان ممكنا التوصل إلى إتفاق بحيث أن استعمال اللغة لغايات تواصلية مرتبط بوظيفة اللغة المعرفية، فالبراجماطيقا كتداولية تعتمد على اللغة كفعل إجتماعي و فعل تواصلي مكلفة " باستخراج المظاهر الكونية للمسار الذي يجب أن ينتهي بنا إلى التفاهم "[7] حيث للكلمة الواحدة عدد لا حصرله من المعاني حسب الحالات و السياقات و الظروف المختلفة التى تستخدم في الكلمة، فالكلمة الواحدة و ماتؤديه من معاني تشبه أدوات النجار، و كل أداة تستخدم لأداء وظيفة معينة و لا يمكن لأداة واحدة أن تقوم بكل الوظائف و هذا ما نجده عند **فتجشتين** عندما يقول " لا تسأل عن المعنى و إنما إسال عن الإستخدام "[8].

لقد حاول هابرماس إعادة بناء نظرية الفعل التواصلي كما يتمثل بوجه خاص في التفاعل اللغوي و قدم لنا في برنامجه البراجماطيقا العامة شروط صحة الكلام والتى تتمثل في "أن يكون منطوق المتحدث شيئا مفهوما يقدم شيئا مفهوم، وأن يقدم شيئا يمكن للمستمع أن يفهمه وأن يجعل المتحدث نفسه ممكن الفهم وأن يصل المتحدث الى تفاهم مع شخص أخر. و يرى أن هذه الشروط أساسية حتى تتم عملية التواصل[9].

للنهوض بنظريته التواصلية سيضفي **هابرماس** على اللغة طابعا **تداوليا** ليجعل منها قوة إجتماعية و تواصلية ترتبط بالبعد البراجماطيقي التداولي المستعمل يوميا ،فاللغة تدخل في صميم الخطاب وتلعب دورها الأساسي في التفاعل و التواصل لتصبح أداة إجرائية تعمل على كشف الأمراض الإجتماعية و التشوهات التي تصيب التواصل الأمر الذي من شأنه " تعزيز قدرات الفرد في الكشف عن مكامن العطب و الزيف في ذاته وفي الآخر " [10] والأمر ذاته قام به **دلتاي** ،الذي يعتبر من أوائل الفلاسفة الذين اهتموا بارساء دعائم الفهم بداخل الحياة الإنسانية ،لقد جعل **دلتاي** الفهم الذاتي يتحرك باستمرار في واسطة من فهم متبادل مع الذوات الأخرى فأنا أفهم ذاتي فقط بداخل مجال ما هو مشترك ، يربط دلتاي إذن التفاعل و الفهم المتبادل بين الأفراد باللغة فالتعبيرات لديه " هي التى تجعل حالاتنا الداخلية واضحة جلية للآخرين إنها بمثابة إشارات لهذه الحالات " [11] ومن جهته يرى هابرماس أن أفعال الكلام تلتقي فيها ثلاث مكونات مكون جملي مهمته تصور أو ذكر أحوال الشئ ومكون فعل منطوق مهمته عقد علاقات بين الأشخاص و أخيرا مكون لساني يعبر عن قصد المتكلم ، ومن ثم فالفعل التواصلي عنده يتمثل "بالربط بين مستويات العمل الخاصة بالفاعلين المختلفين وذلك عن طريق استخدام القوة المحرضة عقلانيا، هذه القوة المتضمنة بالضرورة في أفعال النطق الكلامية " [12] ينبغي على كل مشارك في الحوارأن يبادل المشارك الآخر بالممارسة و ليس بالنظرية و بناء على هذا يهتم هابرماس بمفهوم التناسب و يتحدث عن أنواع مختلفة من هذا المفهوم حيث هناك " تناسب في التأكيد و الإعتراض الذي بواسطته يكون كل مشارك في الحوار حرا في أن يقول مايريده أو يكون حرا في أن يرفض مايقوله محاوره ،لاشك أن هابرماس يريد أن ترتبط الهرمونيطيقا بالتواصل ، و أن يرتبط الفهم الهرمونيطيقي بنقد الإيدولوجيا حيث يتساءل بلغة كانطية كيف يكون التفاهم بين الذوات المتحدثة والأخرى الفاعلة ممكنا و هذا التساؤل يعود إلى قناعته بوجود شروط موضوعية التأويل داخل الأبنية التواصلية العامة، لذا سيرفع باللغة إلى أقصى حدودها ، أي إلى مستوى النظرية التواصلية فيتجاوز الهرمونيطيقا الخالصة بما يسميه **بالبراغماتية الكلية***Pragmatique universelle* على العكس من **غادامير** الذي يقف عند حدود اللغة العادية .

ب- إشكالية فهم المعنى: (الحقيقة و المعنى في العلوم التحليلية) :

إن الفعل التواصلي يحتوي على المنطوقات الشاملة التى تكمن وظيفتها في توضيح العلاقة الداخلية بين الفهم الممكن لأفعال اللغة و الشروط القادرة على توضيح مزاعم الصلاحية لدى أفعال اللغة، فبحسب هابرماس أننا نفهم فعلا من أفعال اللغة عند ما نعرف مايجعله مقبولا و عند ما يكون مقبول يصبح شاملا و عاما و كليا ، لهذا يدعوه بالتداولية العامة التي سيسعى لاحقا إلى إدخالها على مفهوم التوافق عبر واسطة تحاليل نظرية أفعال اللغة بنفس الطريقة التي عمل بها **بوهلر** الذي يرى أن اللغة بوصفها نشاطا إنسانيا و ليس نسقا مغلقا قائم بذاته، أي أن الإنسان هو الذي يصنع اللغة ويحدد شروطهاو يمتلك دعاوي صلاحيتها ، و قد حدد **بوهلر** ثلاث و ظائف لّلغة

و ظيفة التمثل (المثال) وظيفة التعبير (القول) ووظيفة الإستدعاء (الفعل) ومن هنا يؤكد **هابرماس** على دور الحجاج داخل المناقشة عندما سعى لتكوين التوافق، بيد أن زميله **كارل أتو ابل** في كتابه **التفكير مع هابرماس ضد هابرماس** يرى أن هذا الأخير و في " مبدئه ثلاثي الأبعاد و الخاص بالمناقشة أي وفقا للصيغ الثلاثة مع العالم و المزاعم الثلاثة بصلاحية المناقشة ،قام باقتراح قاعدة إنطلاق مكتملة نسبيا بغرض إعادة مسارات العقلنة الممكنة و فقا لمعنى التراصف الذاتي للوغوس إعادة البناء "[13] **يعتبر** كتاب **منطق العلوم الاجتماعية** *logique des scienses sociales*لهابرماس أول كتاب يهتم باشكالية الحقيقة والمعنى، حيث يدخل في سجال مع **غادامير وفتجشتين** حول اللغة ،العلامة ،التفسير و التأويل و في هذا المجال سيُخضع **هابرماس** ما إكتشفه من خلال دراسته لميادين أخرى للإختبار ،والميدان المناسب لإشكالية الحقيقة والمعنى هو التحليل النفسي و أدواته، و ذلك من أجل تعميق مفهوم المعنى ،حيث يعتبر التحليل النفسي من **العلوم النقدية لما** يلعبه من دور في تحرير الإنسان على الأقل من الناحية التقنية وأول النتائج التي ستظهر من خلال توظيفه لهذا لمنهج و جود مستويين للغة ، فهناك اللغة العادية و اللغة الخالصة أما اللغة العادية فهي لغة تتضمن حركات جسدية أما النتيجة الثانية فتكمن في أن هابرماس لا ينكر الدور الإيديولوجي للغة و دورها في تحريف الحقائق و الخداع الذي تمارسه، و دور التحليل النفسي و ما يقوم به من فهم للفرد من شأنه أن يكبح هذه الإنحرافات الإيديولوجية للّغة كما يلعب دورا هاما في عملية التأويل من خلال جانبه المتلعق باللّاشعور و هذه هي قدرة هذا المنهج للترصد لتحركات النصوص، يقول هابرماس في هذه العلاقة بين التحليل النفسي و التأويل" فالتأويل له علاقة بالقدرة التى يكبتها في الوقت الذي نتعلم فيه التحكم في لغة طبيعية و لها فعليا علاقة لفن فهم المعنى الكفيل بأن يكون قابلا للتوصيل،وتبليغ هذا المعنى حينما يتعرض التواصل للتشويش " [14]

ج- الحقيقة و المعنى :

يعرف هابرماس الحقيقة بأنها " هي الإلزام الفريد الذي يجبرنا على الإعتراف الشامل بدون إلزام ،لكن هذا التعارف عندما يكون مرتبط بوضعية مثالية للكلام أي يكون مرتبط بشكل من الأشكال بالحياة المثالية يسمح بفهم شامل دون إلزام أي إكراه "[15] يمكننا تلخيص نتائج الأبحاث و التأملات الأولية بخصوص الحقيقة في ثلاث فرضيات ،تكمن الفرضية الأولى في أن نسمي حقيقة أو صدق كل ادعاء بالصحة تربطه عادة إلى أفعال كلامية تقريرية فنقول عن ملفوظة بأنها صحيحة عندما يكون الإدعاء بالصحة المعبر عنه بأفعال كلام بواسطتها نعتبر بأن الإثبات للقضية يكون مبررا ،أما الفرضية الثانية ففيها لا تظهر المسائل ذات الصلة بالحقيقة إلا حينما تصبح الادعاءات بالصحة المقبولة بغير دليل و هي ما يعبرعنها هابرماس بالسذاجة داخل السياقات العملية، لهذا فان التلفظات الخاصة بصدق الملفوظات ليست حشوية أو إسهابية داخل المناقاشات التى فيها نفحص الإدعاءات المفترضة للصحة أما الفرضية الثالثة حيث بداخل السياقات العملية تمنح الإثباتات معلومات عن مواضيع

التجربة، و بداخل النقاشات تناقش الملفوظات الخاصة بالحوادث أو الوقائع وبهذا فإننا لا نصادف المسائل المتعلقة بالحقيقة داخل العلاقة مع الترابطات الإجتماعية للإدراك المتعلق بالنشاط و لكنها تظهر مع الوقائع المرتبطة بالنقاشات الناجمة من التجربة المتحررة من الإلتزامات العملية ،فعندما نقول عن واقع حالة بأنها حقيقية أم غير حقيقية فاننا لا نقرر ذلك بواسطة التجربة و إنما بواسطة لعبة البرهنة و التحليل فلا يمكن عرض فكرة الحقيقة إلا من خلال العلاقة مع النقاشات التى تتحقق فيها و تحترم الإدعاءات بالصحة .

يُقر **هابرماس** في كتابه **منطق العلوم الاجتماعية** في الفصل المعنون بالإدعاءات بالصحة و تجارب اليقين بأنه قد استعمل كلمة الحقيقة بمعنى العقلانية في معظم الأحيان حيث يقول " إنني أُؤكّد على الفكرة التى تقول بأنه توجد على الأقل أربع إداعاءات بالصحة هي أصلية كذلك و هذه الإدعاءات المعقولية، الحقيقة ،السداد أو الصواب والإخلاص للصدق " [16]ويشرع في التميز بين هذه الإدعاءات بالصحة أو الصلاحية ، حيث يفرق بين النوايا (المقاصد) و تجارب اليقين التي تناسبها في كل حالة من أجل أن يبين بأنه يربط الإدعاءات بالصحة القابلة للتحقيق بواسطة المناقشة و بالقواعد فضلا عن ربطها بالإثباتات .

ولقد أكد هابرماس بأنه عادة ما تكون لعبة اللغة الجارية والتي تتبادل أثناءها أفعال الكلام المنسقة مصحوبة بما يعرف ب " **التفاهم أو الإجماع الخلقي** " و يقوم هذا التفاهم أو الإجماع على الإعتراف المتبادل بأربع إدعاءات بالصحة على الأقل:أن يكون ضروري للمتكلمين الأكفاء إصدارها في كل فعل من أفعال كلامهم و بهذا يطمح إلى معقولية* *intelligibilité* التلفظ و صدق أو حقيقة عناصره الإفتراضية وإلى صحة العناصر الأدائية و إخلاص النية أي القصد من جانب المتكلم ،فلا يتم التواصل البيذاتي والبيفهمي بلا تصادم، أي على أساس تفاهم أو حجاج مصقول جيدا ولن يتم هذا إلّا إذا كان باستطاعة الأفراد المشاركون في الحوار الذين يتكلمون و ينشطون أن يحققو الوضعيات الأتية :

- ✓ أن يجعلوا من المعنى التداولي للعلاقة **البيشخصية** *Interpersonnelle* و كذلك من معنى المحتوى الإفتراضي المتعلق بتلفظاتهم معنيين معقولين مدركين.
- ✓ أن يعترفوا **بصدق** *Sinsérité* أو حقيقة الملفوظ الصادر عن فعل الكلام أو يعبر عن المسلمات المتعلقة بوجود محتوى إفتراضي معلن عنه في ذلك الملفوظ .
- ✓ أن يعترفو بسداد أو **صواب** *Justesse* القاعدة التي يمكن أن نعتبرها أنها قد أُحترمت في كل مرة يتم فيها **فعل الكلام***Acte locutoire*.
- ✓ أن لايشكوا في إخلاص أو صدق الأفراد المعنيين .

إن الإدعاءات بالصحة الأربع حسب هابرماس لا تكون مموضعة إلا عندما يكون عمل لعبة اللغة قد أصابه إختلال أو يصاب التفاهم بتشوه ما. و من بين هذه الادعاءات ما لا يتحقق بالمناقشة ، فنحن عندما نفهم أو

نعرف شئ ما ،وعندما نعترف بصحة ذلك الشئ أو عندما نصدق شخصا ما فاننا نتحصل في كل على مرة على يقينيات، و لكن كل يقين يختلف عن الأخر. فالإدعاءات بالصحة تتميز عن تجارب اليقين بطبيعتها **البيذاتية** *intersubjivtivité* ،فإذا أجزمنا بأن ملفوظ ما ليس صادقا إلا عند شخص معين وأن شخصا ما ليس صريحا في تلفظاته إلّا في نظر أشخاص محددين فهذا لا يكون له معنى تماما ، وبالمقابل لا يوجد يقين الإدراك الحسي الذي هو أصل كل يقين إلّا في نظر الشخص المدرك لا غير، و عندما أُصدر إدعاء بالصحة فإني أطرحه على المراقبة البيذاتية ،غير أن اليقين المعبّر عنه وبالرغم من أنه يسمح بالتساؤل عن الإدعاءات بالصحة الشاذة يبقى دائما ذاتيا،أي غير تام وناقص، فإذا أصدرت إدعاء بالصحة يكون لي يقين بذلك ومن الضروري الإحاطة بهذا التميز لأن و بالتحديد تبقى الإدعاءات بالصحة الإستطرادية أولا وهما الحقيقة و **السداد** " **الصواب** " *justesse/* هما الإدعاءان اللذان لهما سوى أساس تجريبي فالفهم عند **هابرماس** لا يتوقف على **صلاحية** *validité* التعابير و لكن يتعداها إلى الإتفاق على المعايير الأخلاقية و الاجتماعية التى تحكم المجتمع ككل ،وذلك لأن اللغة وسيلة لها ارتباط بالفعل و ليس الفهم فقط ،و يتفق هابرماس بخصوص مسألة الفهم اللغوي مع **فتجشتين** الذي يرى أن معايير الإتفاق لا توجد في اللغة فحسب بل توجد خارج اللغة كذلك بمعني أن المعايير الإجتماعية و الأخلاقية هي التي تحدد صحة أو كذب مايقوله الناس و ليس اللغة، يقول **هابرماس** موضحا هذه القضية " إن إتفاقاً مستفاداً و بطريقة تواصلية، في العقل التواصلي هو إتفاقا متميز قضويا و بفعل هذا البنية اللغوية فان الإتفاق لا يمكن أن يستنبط من تأثير مصدر خارجي لأنه يجب أن يقبل بوصفه صالحا من طرف المشاركين، و لهذا السبب فانه يتميز عن التوافق و ذلك لأن عمليات التفاهم تسعى إلى تحقيق إتفاق يستجيب لشروط التصديق المبرر عقلانيا لمضمون تعبيرما و من ثم فإن اتفاقا مستفادا تواصليا ذوا أساس أخلاقي لأنه يستند إلى قناعات مشتركة " [17] و يقول كذلك في نفس السياق " إن التفاهم يعني موافقة المشاركين في التواصل على صلاحية لفظ، ما في حين أن الاتفاق يعني الإعتراف الذاتي بدعاوي الصلاحية التي يعلن عنها المتحدث " [18].

فالحقيقة إذن ليس إلّا كلام و لغة متداولة على عكس ما كان متداولا على أنّها مطلقة و مثالية وواحدة و هذا كله زيف و كذب وادعاء خاطئ كما أن الحقيقة ليست معلومات بقدر ما هي ملفوظات مبرهن عليها ، فهو يسمي الحقيقة "تلك الملفوظات التي نستطيع تبريرها ،ومعنى الحقيقة كما هو متضمن في تداوليات الإثباتات لا يمكن أن تتضح بطريقة مقنعة إلاّ إذا إستطعنا تبيان دلالة الواقع و تقدير إدعاءات الصلاحية المؤسسة على التجربة من خلال المناقشة هنا بالضبط يتمثل هدف النظرية الإجتماعية للحقيقة... إن حقيقة قضية ما تعني الوعد بالوصول إلى إجماع عقلاني حول ما قيل "[19] إلى جانب حقيقة الملفوظات هناك إعتبارات أخرى يجب أخذها بعين الإعتبارحيث لا يقف هابرماس عند مستوى **الحقيقة** *Vérité* فحسب بل يتعداه إلى **الوضعية المثلى للكلام** أي أن **الملفوظ** *Enoncé* الذي يعبر عن الحقيقة يجب أن يكون في أنقى مستوياته و هذه الإعتبارات هي الصدق و

المعقولية و الدقة*. فالحقيقة تكمن في اللغة ،و الحقيقة النظيفة و الطاهرة تستمد من اللغة النظيفة و النقية القائمة على قوة البرهنة *justificationmeilleur*،أي أن الحقيقة يجب أن تكون مبرهنا عليها كما أن اللغة ذاتها يجب أن تخضع للبرهنة حتى تتمكن من بلوغ الإجماع، و هذا يعني أنها مرت عبر النقد مما يمكن من تقدم المعرفة، أي أن كل تقدم للغة هو ذاته تقدم للمعرفة. كما أن التبرير *justification* لا تكفيه لغة و تعبير واحد بل البرهان الصحيح هو ما يمكننا استبداله بتعابير أخرى تحل محله .و من خلال هذا التحليل نلاحظ أن هابرماس يسعى أن يجعل الحقيقة ترتبط بالإنسان فهو الذات و هو الموضوع و حقيقته موجودة في لغته و ما عليه إلّا استنطاقها و استخراجها من خلال حواره مع الأخرين في خطابه اليومي التداولي .

إن ما يمكن أن نلاحظه إذن هو أن نظرية المعنى البراغماتي لا يهمها ما تقوله اللغة و لكن ما تفعله فهي ليست نظرية في اللغة بل في كيفية استخدامها أما نظرية المعنى الافتراضي فتعني أن الجملة تتألف من شروط صحتها ، و فهم جملة من الجمل يعني فهم ما يجعلها صحيحة أو خاطئة.

لقد تبنى هابرماس تعبير **بوهلر** للغة الذي يرى بأنها أداة ينقل بها المرء فكره للآخرين عن العالم و لقد نسب بوهلر ثلاث وظائف لّلغة تقابل منظور المتكلم و المخاطب و الغائب على الترتيب ألا و هي " الوظيفة المعرفية لتمثيل الحال، ووظيفةالإلتماس لتوجيه الطلبات للمتلقين و الوظيفة التعبيرية للإفصاح عن تجارب المتكلم " [20] .فبوهلر يؤكد على عدم كفاية الجانب المعرفي للغة وحده دون الإهتمام بالجانب الأخر الذي يركز على علاقة المخاطب و المستمع و هذا ما سيعمل هابرماس على تطويره في نظريته في الإجماع القائمة على العلاقة بين المتخاطبين.

د-الوضعية المثلى للكلام : *Situation ideal de parole*

إن الكلام هو الفعل عن طريق اللّغة ، واللغة لا تكتفي بوصف العالم و تصويره بل تنجز الكلا م و أفعاله و هذا يقتضي إشراك المتكلم و المخاطب معا في تحقيق الهدف من الحديث و عندما يتحقق هذا الهدف نكون في وضعية مثلى للكلام ،يقول هابرماس " إني أعتبر الوضعية المثالية للكلام تلك الوضعية التي لا يتخللها انقطاع في التواصلات لا بسبب نشاطات خارجية عارضة و لا بقيود مرتبطة ببنية التواصل في ذاتها " [21] لقد هابرماس شرطين بدائيين يجب أن تحققهما الوضعية المثلى للكلام ، أولا يجب أن يتمتع كل المشاركين الإفتراضين في النقاش بنفس الفرص و الحظوظ في استعمال أفعال الكلام التواصلية و بذلك يستطيعون في كل مرة فتح نقاش و متابعة بالتناوب في الخطاب و التحاور بالأسئلة و الأجوبة ، ثانيا يجب أن يكون لكل المشاركين في الحوار نفس الفرص لتقديم الشروحات و الإثباتات و التوصيات و التفسيرات و التبريرات إلى جانب فرص طرح الإشكال لتبرير أو دحض الإدعاء بالصحة، بحيث لا يبقى هناك أي رأي مسبق بمنأى عن المعقولية و النقد، و إلى جانب هذين الشرطين هناك شرطان آخران أكثر حسما ،ثالثا لا يقبل في النقاش سوى المتكلمين الذين تكون لهم بصفتهم

فاعلين نفس الفرص في استعمال أفعال الكلام تمثيلية أي أنّهم يستطعون التعبير عن مواقفهم و عواطفهم و آمالهم ، ورابعا لا يقبل في النقاش سوى المتكلمين الذين يكون لهم بصفتهم فاعلين نفس الفرص في استعمال أفعال كلامية منظمة أي في إصدار أوامر في الإعتراض في السماح و في المنع وفي إعطاء الوعود و قبولها... الخ و الشرطان الأول و الثاني يفسران ماهي مسلمات الوضعية المذكورة في الشرطان الثالث و الرابع أي يتعلق الأمر بالمساواة من حيث الخطاب و ترسم الخاصية الشكلية التي يجب أن يتمتع بها كل نقاش لتكون له قوة تبرير. أما مسلمة الصراحة المطروحة في الشرط الثالث تصف الخاصية الشكلية للنشاط التواصلي حتى تصبح قوة تبرير عقلانية و في كل الأحوال، وفي هذا الإيطار يقرّ بول ريكورأن "فعل الكلام يمكنه أن يعين ليس فقط بحسب معناه الإفتراضي، بل كذلك بحسب قوتة الإيحائية " [22]. وبحسب تصور هابرماس فإن بنية التواصل التي تميز **الوضعية المثالية للكلام** تلغي التشوهات المنهجية و تضمن بصفة خاصة حرية الإنتقال من النشاط إلى النقاش و بداخل النقاش تضمن المرور من مستوى إلى آخر ،و الإحالة إلى الوضعية المثالية للكلام و حدها التي تسمح في أخر المطاف بالتمييز بين تفاهم و إجماع عقلاني صحيح هادف وبين إجماع كاذب و مشوه.ولقد أكد هابرماس على أن كل فاعل تواصلي بفعل كلام ما يكون مجبرا أن يعبر عن الإدعاءات الكلية بالصحة وأن يفترض بأنه يميز الإداعاءات فكلما كان هذا الفاعل يدعي بصفة عامة أن يشارك في مسار الفهم البيني فانه لا يستطيع التخلف عن أن يصدر الإدعاءات الكلية الأتية : 1-أن يعبر بطريقة معقولة مفهومة 2- أن يعبر عن شئ مفهوم 3-أن يفهم ماذا يريد التعبير عنه 4-أن يتفاهم مع الآخرين. فالهدف من الفهم البيني هو الوصول إلى إتفاق من شأنه أن يؤدي إلى إثبات بيذاتي للفهم المتبادل و المعرفة المشتركة المتبادلة و تلاقي الأراء ووجهات النظر و تقابل هذه الأبعاد الأربعة للإثباتات أو التفشي البيذاتي إلى أربعة إدعاءات بالصحة ،و هي المعقولية و الحقيقة و الصراحة و الصواب التي يرتكز عليها الإتفاق و الفهم البيني بين شخصين على الأقل، حيث ينوه هابرماس الى أنّ " الفهم البيني هو ذلك المسار الذي فيه يتحقق الإتفاق حول القاعدة المفترضة عن الإدعاءات بالصحة المعترف بها في إيطارالإتفاق المشترك فإن حصل وان اصبح هذا التفاهم (الإجماع) محل رفض و أن مسلمة تحقيق على الأقل إدعاء واحد بالصحة غير ثابتة هناك يتوقف النشاط التواصلي"[23].

هـ- الجملة والملفوظ:

لقد أكّد هابرماس على أن الوحدة الأولية والأساسية للخطاب هو فعل التكلم (القول) أما الوحدة الأولية للغة هي الجملة و لا تختلف هاتين الوحدتين إلاّ بحسب شروط الصحة ، فالجملة المركبة تركيبا سليما من الناحية النحوية قد توفرت فيها شروط المعقولية في حين يتطلب فعل التكلم " القول " لكي يحظى بالقبول أن يتوفر فيه فضلا عن المعقولية شرطا أخر و هو أن يكون المشاركون في العملية التواصلية قابلين للتفاهم أي فهم بعضهم البعض، و ذلك باصدار في كل مرة الادعاءات بالحقيقة ، بالصراحة و الصواب وأن يفترضوا بطريقة تبادلية بأن

هذه الإدعاءات قد و فيت ، ثم أن الجمل هي موضوع التحليل اللغوي بينما **أفعال الكلام** *Acte locutoire* (الأقوال) تشكل موضوع التحليل البراغماتي التداولي و بصفة عامة فان المهمة الأساسية للألسنة كما تصورها هابرماس تكمن في تحديد بالنسبة لكل لغة قواعد نحوية بحيث يصبح يناسب كل جملة من هذه اللغة مهما كان نوعها وصف بنيوي في حين أن النظرية العامة للنحو موضوعها هو إعادة بناء نظام القواعد الضمنية الخاصة بقابلية الفرد لإنشاء جملا سليمة التركيب في أي لغة كانت و من ثم فان النظرية العامة للنحو تطمح لإعادة بناء الكفاءات اللغوية الشمولية لدى المتكلمين البالغين .

وهذا ماحاول هابرماس تطبيقه أي أن مظاهر التحليل اللغوي يمكن أن تفحص كل عبارة شفهية من ثلاثة أوجه، 1-الصوتيات (علم الألفاظ) و تدرس التمظهر الصوتي للعبارة2 - النظرية النحوية و تهتم بالتسلسل الشكلي (الصوري)لأصغر وحدات المعنى 3-النظرية الدلالية و تدرس المحتوى الدلالي للعبارات الشفهية .إن المبتغى الأول للتداولية في الفكر الفلسفي المعصر عموما والفكر الألماني خصوصا هو وضع جرد وصفي لأفعال الكلام المميزة لبعض الوضعيات في وسط معين يمكن تحليله هو الأخر من رؤية سوسيولوجية أو نفسية أو إثنولوجية في حين تكون مهمة النظرية التداولية الشمولية هي إعادة بناء نظام القواعد الضمنية، و لقد ربط **هابرماس** بين تأويليته النقدية **بالبراجماطيقا العامة** متكأ في ذلك على **ديسوسير** الذي ميز بين اللّغة و الكلام ،واذا كانت اللغة هي البنية التي توجد وجودا مثاليا خارج استعمال يومي فالكلام هو المنطوق اليومي، الذي لايصلح موضوعا لعلم اللغة ، فاللغة تعتبر أكثر تنظيما من الكلام ،وإذا كانت فروع اللغة الأخرى إهتمت بدراسة اللغة تنظيما و تفكيكا فان البراجماطيقا و حدها هي من إهتمت بالكلام و دراسته، لذلك سيعكف عليها هابرماس مكيفا إياها بما يخدم نظريته النقدية ومنه البحث عن النظام و البنية و القالب في منطوقات الحياة اليومية ، و بذلك يكون قد أحدث إنقلابا في **البراجماطيقا** و هو ما أسماه بالبراجماطيقا العامة أو الكلية حيث تعامل مع الكلام مثلما يتم في اللغة و جعله قاعدة أساسية لنظريته التواصلية و من ثم تقوم" البراجماطيقا العامة على إعادة بناء الإستراتيجيات التي يستخدمها الناس في أداء المفاهيم التواصلية داخل سياقات محددة"[24] وهذا البرنامج في التداولية العامة نجد له لدى أوستين سندا قويا حيث تتناول نظرية هذا الأخير القواعد العامة للكفاءة التواصلية التي تساعدعلى الإستعمال الصحيح للمنطوقات الكلامية فالبراجماطيقا العامة تهتم بتحليل اللغة كفعل إجتماعي و من ثم كفعل تواصلي و لقد طرح أوستين ثلاثة أصناف في أفعال الكلام " الفعل الأدائي ،الفعل الإنجازي، الفعل الإنشائي"[25] و هذا ما وظفه هابرماس في كفايته التواصلية .

إن البراجماطيقا العامة هي بمثابة المعيار الذي توضع فيه جميع الأفعال الإستراتيجية و ذلك لمعرفة درجة صدقها و ملائمتها و مطابقتها للمعايير ، وهذا ما قد يسهل عليها عملية التأويل و معرفة التشوهات التي تصيب الأفعال التواصلية ، **فالفعل الإنجازي** *performative* (القول) يجب أن يحقق المعايير الثلاثة ، واذا أخفق في واحدة من

هذه الإختبارات فثمة تزييف أو تشوه ما قد وقع و إيديولوجية خفية تتحكم في القول أو الفعل الإنجازي ، وهنا تكمن وظيفة البراجماطيقا العامة حيث تكشف هذا الزيف و هذه الإيديولوجيا و هو إكتشاف لغوي لما تحتويه هذه الأخيرة من تزييفات و هذه هي وظيفة **الهرمونيطيقا النقدية** ، و لقد لاحظ العديد من الدارسين أن هابرماس حينما عمد إلى إدخال نظريته في البراجماطيقا العامة في التأويل يكون قد أعاد الروح من جديد لتأويلية **غادامير** و من ثم تخليصها من كل التشوهات و الإيديولوجيات ،كما أن طريقته الحوارية في اللغة داخل التأويل و منحه الفرصة لجميع المتحاورين تكافؤاً و عدلا أراد بها الوصول إلى الإدعاء بالصلاحية في أي فعل كلامي إنجازي. و منه لا نعرف من نحن إلا بفضل علاقتنا بالآخرين و هذا هو جوهر التواصل مما يفترض وجود قواعد تضبط السياق الكلامي و ذلك لتجنب المخادعة و الإستغلال و توضيح القول بدقة حتى يتبين للمصغي التعرف على ما يقوله و ينجزه الآخر من أفعال كلام و من ثم الوصول إلى إتفاق بين المتحاورين و**إجماع** *consensus* فيما بينهم على صدق منطوقاتهم وحريتها، و هذا هو معنى التواصل على مستوى الأفراد الخاص بقابلية الفرد بتلفظ جمل في أي وضعية كانت و منه فان طموح التداولية الكلية أو العامة هو إعادة بناء قابلية المتكلمين البالغين و قدرتهم على وضع الجمل في سياقات واقعية ،بحيث تستطيع هذه الجمل أن تقوم بالوظائف التداولية البراغماتية الشمولية أو الكلية للوصف و للتعبير عن الذات و إيجاد علاقات بيشخصية ،في حين يكون صحة الملفوظ مرتبطة بمعرفة إذا كان هذا الملفوظ يترجم أو يعكس تجربة أو واقعة ما، كما تكون صحة فعل الكلام متعلقة بمعرفة ما إذا كان هذا الفعل يتناسب مع خلفية متعارف عليها و إذا كان يستجيب للمعقولية *Intelligibilité* ، لأنه يجب على التلفظ السليم أن يتناسب مع ثلاث متطلبات أخرى للصحة* ؛ أولا يجب أن يعتبر هذا التلفظ على أنه صادق في نظر الأفراد المشاركين ،ثانيا إذا كان يمثل واقعة موجودة في العالم، ثالثا يجب أن يعترف به على أنه صريح باعتباره يعبر عن نية المتكلم و أن يعتبر صحيحا باعتباره يتناسب مع ترقبات متعارف عليها إجتماعيا.

من التحليل السابق يتضح لنا أن نظرية المعنى ترتبط ارتباطا وثيقا بنظرية النشاط التواصلي فهي لا تخلو من مفاهيم تواصلية كالبيذاتية و البيشخصية، السامع، و المتكلم و الفهم و الصحة و الصدق و المعقولية ...الخ فهي مفاهيم توحي لنا بأن نظرية المعنى و الحقيقة تبقى عاجزة من تحديد و تحقيق و تأدية وظيفتها في غياب شروط التواصل التى حددها هابرماس حيث يقول هذا الأخير مؤكدا على هذا التصور " لقد وضعت نظرية النشاط التواصلي على مقياس النظرية الإجتماعية غير أنه إذا أتيح لنجاح البرنامج الذي كنت قد رسمت خطوطه الأولى في تأملاتي الأولى حول نظرية الفعل التواصلي فإن نظرية النشاط التواصلي تؤدي إلى نتائج حل بعض المسائل الفلسفية .ففي المقام الأول تساهم هذه النظرية في قسط نافع لنظرية المعنى "[26] كما يتبين لنا أن النظرية المعاصرة في التداولية العامة أو البراجماطيقا العامة و موقفها من الدلالة المتعلقة بالحقيقة تكون قد أحالت فهم التلفظ للغة إلى معرفة الشروط العامة التى من خلالها يتقبل السامع التلفظ فيتم فهم فعل الكلام عند معرفة

ماهو الشيئ الذي يجعل هذا الفعل مقبولا من جانب السامع لتبقى شروط القبول مماثلة لشروط النجاح التعبيري ،فالقبول ليس معرفة من معنى موضوعاتي من جانب الملاحظ و لكنها معرفة بواسطة الموفق الأدائي للمشاركين في التواصل و من جهة أخرى تحاول نظرية النشاط التواصلي التوصل إلى السبب و الباعث وراء ممارسة التواصل اليومي ،و أن تعيد إنشاءه على أساس صحة الخطاب .

ولقد عولجت إشكالية الحقيقة والمعنى في الفكر الفلسفي المعاصر إنطلاقا من ثلاث حقول أساسية هي التأويل، اللغة، والفينومولوجيا.

أ- التأويل : ان التواصل يحدث وفق قواعد يشترك فيها المتخاطبين و لا يمكن لهذه القواعد من تحقيق تفاهم " **إجماع** "*consensus* فحسب بل تتضمن هذه القواعد إمكانية تجاوز تلك الوضعيات التى يختل فيها التفاهم البيذاتي، فالتكلم مع بعضنا البعض يعني التفاهم بصفة عامة، و معرفة كيف نفهم في ظروف معينة ، ودور المحادث أو المحاور يتضمن أيضا دور المفسر الذي لا يتميز عن دور المترجم، **فغادامير** كان يرى في القواعد النحوية إلى جانب أشكال الحياة الممأسسة فيها أيضا تحديد الأفاق حيث هده الأخيرة تتحرك و من ثم فهي مفتوحة ، والأفراد ينشطون ضمن هذه الأفاق التى تتطور مع تطور أدوار الأفراد، فالعوالم المعاشة التى تحدد قواعد اللغة (النحو) في ألعاب اللغة ليست عبارة عن أشكال مغلقة كما يراها **فتجشتين** في تصوره، حيث يبين **فتجشتين** كيف أن قواعد التواصل بواسطة اللغة تقتضي شروط إمكانية تطبيقاتها الخاصة فهي أيضا قواعد تطبيقية للتعلم ،الاّ أن **هابرماس** يرى أن **فتجشتين** يكون قد أهمل هذه القواعد نفسها حيث تقتضي شروط تأويلها و ينمو كل فرد مع عنصر لغته، و يعبر هابرماس عن هذه الكبوة " بالصورة المصغرة التي سقط في متاهتها فنجيشتين" [(27)] حيث يشرح هذا الموقف بتقديم مثال حول الطفل " الذي يتعلم شروط إمكانية التفاهم و أيضا إمكانية تأويل هذه القواعد فلا يقوم الفهم التأويلي إلا عندما يختل التفاهم البيني ، وهذا التأويل يبقى ضروريا لفهم اللّغة،بمعنى أنّ الفهم التأويلي يتدخل عند نقاط إختلال الشرح ليعوض هشاشة القصور اللغوي العامي البيذاتي .

لقد لقي **غادامير** و فلسفته التأويلية نقدا شديدا كما رأينا سابقا من **هابرماس** كما اشتد بينهما السجال حول العديد من المسائل التأويلية ، إذ نجد نصا مهم بخصوص هذه المعارضة والاختلاف مع غادامير " و قد حاولنا معارضة غادامير لكي نبرهن له من زاوية تأويلية هرمسية بأنه يجهل هذا الإرث العظيم ،لأنه أخذ فقط من التصور الضيق لمثالية القرن التاسع عشر الألمانية ، وهو مفهوم غير ديالكاتيكي للأنوار الذي ينهل من موقف يرى أن للألمان إدعاءاً خطيراً ألا و هو التفوق ، وهو الموقف الذي ظل يعزلنا عن التقاليد الأوروبية ،و يستأثر **غادامير** بحجة تلقائية ،إن حق التفكير يستدعي التحديد الذاتي للتأويلية فهو يطالب بنظام مرجعي يتعدى سياق التقليد

كتقليد، و هنا فقط يكون من الممكن نقد التورات، و لكن كيف يكون لنا أن نعطي شرعية تمثل هذا النظام المرجعي إذ لم يكن ذلك بواسطة امتلاك ذلك التقليد من جديد ؟"[28].

ب- **اللغة** :إن ما أردنا ايضاحه سابقا هو الطرح الهابرماسي الذي يرى أن إشكالية اللغة أصبحت اليوم تحل محل إشكالية الوعي في كل المجالات، فالنقد اللغوي حل بدوره محل نقد الوعي، كما أن الفلسفة اللغوية لم تعد تتضمن أي علاقة بين القصد و النشاط كما كان الشأن عند الظواهرية، بل أصبح الموقف اللغوي يدرس النشاط الاجتماعي البيذاتي المتحصل عليه من القواعد النحوية لتفاعلات تنظمها الرموز أي أن العوالم المعيشية تتحدد بقواعد نحوية ، من خلال اللغة ضمن مسار التواصل و شروطه و من ثم فإن الدراسات اللغوية كانت و ماتزال عبارة عن تحليلات منطقية ذات هدف تجريبي و لا يكون الدخول إلى مجال النشاط الإجتماعي بواسطة تحليل اللّغة ممكنا إلا إذا كانت العلاقات بين الرموز تفترض علاقات بين النشاطات و بذلك تصبح القواعد النحوية لكل اللغات عبارة عن نظام قواعد يثبت العلاقات ما بين التواصل و الممارسة المفترضة .

يميز هابرماس بين نوعين من التأويل، تأويلية عميقة و تأويلية بسيطة أما التأويلية العميقة تتطلب فهما مسبقا منهجيا يتوسع للّغات جميعها بيد أن الفهم في التأويلية البسيطة ننطلق في كل مرة من فهم مسبق يحدده التراث المكون و المعدل داخل التواصل اللغوي ، فالتأويلية الأعماقية هي تأويلية نقدية بمعنى تتميز و بوعي نقدي وهي تميز بين الوعي و الضلال إذ أنّها تستدعي المعرفة الميتا تأويلية الخاصة بشروط إمكانية التواصل المشوه تلقائيا .وهي تربط الفهم بمبدأ الخطاب العقلاني الذي يرى بأن الحقيقة لا يضمنها سوى إجماع قد ينشأ شروط التواصل بعيدا عن أي هيمنة و يمكن أن يدوم بقاءه وهذا الطرح نجده كذلك عند كارل أتو أبل الذي يرى في هذا الصدد بأن الفهم التأويلي لا يكون في خدمة الحقيقة إلّا عندما يخضع لهذا المبدا الضابط لإيجاد فهم بيني شامل في إيطار جماعة تفسير،فليس هناك من تفسير من غير هذا المبدأ ، ما يمنع الجهد التأويلي من التوقف قبل أن يلقي الضوء على ماهو وهم داخل إجماع مبني على العنف و على ما تشوه تلقائيا ضمن سوء التفاهم ،إذ يعتقد هابرماس " أنه في حين يكون الفاعلون ذو كفاءة تواصلية واضحة أن يمتلكون المهارة و المعرفة العامة بكيفية إنجازضروب من التواصل فإنهم لا يعرفون القواعد التي يطبقونها ،فأبعد من المجال التأويلي ثمة مجال ما قبل مفهومي لا يكون متاحا إلا عبر إعادة بناء العقلانية لقواعده الأساسية و يطلق **هابرماس** على المجال الذي يشكل أساس التواصل إسم المجال" الشامل " أو" التداولية العامة " في بعض الأحيان ،فهو شامل لأنه ينطبق على كل تواصل بشري عبر اللّغة و هو تداولي لأنه يشير إلى الطرائق الأتوماتيكية التى نوجه بها أنفسنا إزاء العالم في أوضاع مختلفة شتى"[29] فاللغة البشرية حسب زعم هابرماس تنطوي على إمكانية التوصل إلى التوافق، والتوافق حاضر على الدوام في أي تواصل.

و تظهر فلسفة دلتاي في هذا المجال في جانبها المتعلق بالتأويل و ذلك عند ما يحاول إعطاء للتأويل بعدا سلوكيا و اجتماعيا حيث أخضع التأويل و الفهم إلى ضوابط إجتماعية تجعل منها مرتبطة بالتفاعلات الإجتماعية أما **نيكلاس لوهمان** في نظرية الأنساق فاعتبر العالم الذي نتعايش فيه هو أفضل نص للتأويل و معروف **لوهمان**بالتأثير الذي مارسه على الفلاسفة الاجتماعيون والتداوليون، **فلوهمان** يرى أننا حينما نتعايش فإننا " نعايش عالم مرتبط بمعنى نعايشه باعتباره نصا عندما يكون للمعنى إرتباطا بالتأويل، لكن يضع المرء معنى بسبب وجود نص ليس من الضرورة أن يكون النص كتابا ،يمكن للمرء أن يعتبر العالم نصا " [30].

ج- الفينومولوجيا:

إن التجربة التواصلية لا تتناول حالات أشياء مجردة و إنما تتناول أشياء مفسرة في السابق ،فالتجربة التواصلية كما هو معبر عنها تأتي من علاقة تفاعلية تربط بواسطة دلالات ثابتة على الأقل بين شخصين داخل سياق بيذاتي يتعلق بالتوافق اللغوي الذي يشارك فيه الملاحظ والملاحَظ، فالعلاقة بين الشخص الملاحظ و بين الموضوع تعوض في هذه الحالة بعلاقة أكثر تعقيدا بين الملاحظ و المعاكس " الخصم " و تتجلى التجربة من خلال تفاعل هذا و ذاك و تكون موضوعيتها مهددة من الجانبين ، من جانب الملاحظ الذي كثيرا ما تشوه أدواته الإجابة ،وفي نفس الوقت من جانب تفاعلات المواجه له التي تشوه على الملاحظ المنشغل و لكن دور الملاحظ الملتزم يعتبر في تقدير **هابرماس** أسوأ نموذج لحقل التجربة التواصلية على عكس من دور المشارك العاكس الذي يكون أكثر ملائمة للتجربة التواصلية و لهذا كان التحليل النفسي يحدد دور الطبيب الملاحظ مع المريض و يعتبره مشاركا عاكسا.

يتعلق الأمر بخصوص **البيذاتية** لعالم التفاعلات اليومية العادية ، حيث في هذا المستوى من **البيذاتية** يمكن أن نتصور أفراد أخرين كفاعلين و ليسو كأشياء طبيعية، إذ نجد أنفسنا أمام رؤى تختلف عن رؤانا في أدوار متبادلة في نفس السياق التواصلي و لا نستطيع التحرر من هذا الموقف الخاص بالتجربة التواصلية باعتبار أن المجتمع متماثل بالطبيعة و لا يمكن أن يتخلى على هويته حيث مجال البحث محدد البنية مسبقا إجتماعيا ثقافيا ، والأفراد يعطون تفسيرات لمجالهم و نشاطهم ،فسلوكهم الظاهر لا يشكل سوى جزء صغير جداً من التواصل الإجتماعي ككل ، ومن هنا يتصور **هابرماس** أن تكون الضرورة المنهجية لتفسير موجه نحو الأفراد الفاعلين، فبناء المفاهيم يعتمد على معرفة مسبقة التى توجه و تفسر الحياة اليومية و في نفس الوقت تعيد بناءها ،أي تعيد بناء **العالم المعيش** فنحن لا نتحدث ولا نتفاهم إلا من خلال بعض التقاليد المتوارثة عن الأجداد والتي نورثها بدورنا إلى الأولاد و هذا ما يسميه **شوتز***Alfred Schütz* (1899-1958)بمخزون المعرفة الجاهزو معرفةالحس المشترك فهي معارف ترتبط بواقعنا اليومي، فالمعرفة القبلية التى تنقلها اللغة العادية هي معرفة **بيذاتية** و فيها يتشكل العالم الواقعي الذي فيه نتبنى رؤية الغير ، و لقد حدد الأستاذ **نورالدين أفاية** قيمة هذا التراث في أحدى أعماله كالأتي " إن المشاركين في التواصل و من أجل التفاهم حول وضعية خاصة لهم يرتبطون بتراث ثقافي يستمدون منه

بعض العناصر، و لكن بالعمل على تحريرها ،لذلك فإن من الزاوية الوظيفية للتفاهم يعمل النشاط التواصلي على نقل و تحديد المرحلة الثقافية و من جهة نظر تنسيق الفعل ،فأن يقوم بوظائف الإندماج الإجتماعي و خلق التضامن ،أما من زاوية التنشئة أخيرا فإن النشاط التواصلي يقوم بدور تشكيل الهويات الفردية " [31]

خلاصة : خلاصة القول هي أن وظيفة الكلام هي تنسيق أفعال البشر الفاعلين و تقليص صراعاتهم و من ثم تحقيق الإجماع القائم على العقل و يعود الدور لتحقيق هذا المبتغى للّغة، حيث الطريقة التى يعمل بها **الكلام** *parole* على تشكيل إجماع بيذاتي هو **المعنى البراجماتي للكلام** ،فالمعنى البراجماتي هو الذي يحقق الإجماع بطريقة كلامية وتسمى بالبراجماطيقا لأنها لاتجريد و لا معنى صوري فيها ،أما الصحة فتعني تطابق الإجماع مع الأسباب فلا يمكن الحديث عن الصحة إلا إذا حقق ملفوظ ما الإجماع كما تسمى بالكلية أو العامة لأن المعنى فيها مرتبط بالملفوظات و الفرضيات وهذه كلها تعتمد على الأسباب و تكون مشتركة بين الجميع ،كما يمكن أن نلاحظ من خلال التحليل السابق أن الفكر الفلسفي المعاصر يستعمل نظرية المعنى في نفس سياق نظرية الفهم و ذلك من أجل إيجاد حل لإشكالية فهم المعنى من خلال إستبعاد ما كانت تتبناه **فلسفة الوعي**التى تحدد المعاني بعلاقة المتكلم بالعالم الخارجي و التأكيد على علاقة المتكلم بمحاوريه في تحديد المعنى و من ثم فان المعنى **تذواتي** و ليس **ذاتي** وبالتالي يمكننا القول مع هابرماس " إننا نفهم معنى الكلام عندما نعرف ما يجعله مقبولا "[32] إلا أن هذا المعنى ليس معنى نهائيا و كاملا بل يبقى دائما في حالة تغيير و يمكن استبداله في أي لحظة حسب الظروف و السياقات ، و في الأخير نود أن تختم بملاحظة أوردها هابرماس نفسه عن نظريته في المعنى بقوله " إنه لمن الصواب أنني أمثل نظرية معنى البراغماتية و تبعا لها أفترض مستمعا يفهم تعبيرا عندما ما يعرف الشروط التى يمكن أن يعتبر ضمنها هذا التعبير صالحا . الفكرة الأخرى بسيطة المرء يفهم تعبيرا فقط عندما مايستطيع المرء أن يسطع شرطه لكي يتفاهم مع إنسان ما حول شئ ما في العالم ،هذه العلاقة الداخلية بين التفاهم و العقلانية تتضح إنطلاقا من المواقف المتخذ منهجيا"[33].

الهوامـــش:

[1] مطاع صفدي،**التداولي والتواصلي**،مجلة الفكر العربي المعاصر،العدد 46 ، مركز الإنماء القومي،بيروت،1987.،ص14

[2] المصباحي محمد ، **فلسفة الحق عند هابرماس**، مطبعة النجاح الجديدة، ط1 ،2008 ،ص109.

[3] ابراهيم مذكور ،**المعجم الفلسفي**، مجمع اللغة العربية ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ،القاهرة ، 1982. ص 33.

[4] يورغن هابرماس،**المعرفةوالمصلحة**،ت حسن صقر،منشورات الجمل،ط1، 2001،المانيا،ص210.

[5] يورغن هابرماس،**حول المعرفة عند نيتشه**،مجلة الفكر العربي المعاصر،عدد59/58 ،1988،بيروت،ص76.

[6] مرتضى الفرج،**الفلسفة الغربية وقراءة النص**،مجلة البصائر،عدد44 ،2009 ،ص117.

[7] المرجع نفسه،ص146.

[8] سيداحمدمحمود،**البراجماطيقا عند هابرماس**،دار الحضارة للطباعة والنشر،2000 القاهرة،ص29.

[9] المرجع نفسه،ص55.

[10] حياة ذيبون،**حديث النهايات**،العقل التواصلي بديلا عن العقل الاداتي،مجلة مقاليد،عدد5،ديسمبر 2013 الجزائر،ص141.

[11]سيداحمدمحمود،**البراجماطيقا عند هابرماس** ،المرجع السابق،ص18-19.

[12]يورغن هابرماس ،**حتى نكون حداثويين**،تر.م.إ.ق مجلة الفكر العربي المعاصر،،العدد71/70.،ص127.

[13] كارل آتو أبل،**التفكير مع هابرماس ضد هابرماس**،تر عمر مهيبل،الدار العربية للعلوم ناشرون،الجزائر،ص79.

[14]Habermas J,**logique des scienses sociales** et autre essais ,tra par rainer rochiltz.pressesun uversitaires de France.paris,1987.p239.

[15] ibid,p240.

[16]ibid,p245.

* المعقوليةintelligibilité تعبير أدخله أ فوبيه في كتابه فلسفة أفلاطون عام 1869 وصار شديد التداول منذ ذلك الحين في اللغة وخاصة التدريس الفلسفي . أنظر لالاند المعجم الفلسفي مج 2 ص 689.

[17]HabermasJ, **théorie de l'agir communicationnel T1**, rationalité de l'agir et rationalisation de la société, Tr; Jean-Marc-Ferry, Fayard, 1987.p295.

[18] ibid,p133.

[19]ibid,p284.285.

*من جهة أخرى يوجد حسب هابرماس إدعاءات بالصحة التي لا تتوافق فيها النوايا المترابطة بخلاف أفعال الفهم فعندما نعرف شيئا ما نقتنع بصحة التقنين فاننا في هذه الحالة نكتسب اليقين كما اكتسبنا المعقولية الخاصة بتلفظ أو بصراحة شخص .بمعنى إذا كان باستطعاتنا أن نصف الادعاء بالصحة الممكن تحقيقه بواسطة المناقشة بالسّديد فضلا عن الحقيقة فذلك يعني أنه من الممكن أن تكون القواعد الصحيحة بصفة لا تختلف عن التى نستعملها في الملفوظات الصادقة .فكل فعل كلام قديكون عبارة عن تحقيق قاعدة ولكن هناك فقط فئة معينة من أفعال الكلام التي تعبر عن علاقات شمولية يمكن للأشخاص المتكلمين و الناشطين استعمالها على أساس القواعد المعروفة .و هكذا فان إدعاء الصحة مرتبط بأفعال الكلام من النوع التمثيلي مما يعني أن فكرتي تتناسب حقيقة و تتماثل مماثلة قوية مع النوايا التى أُكنها "افكار، حاجات، شعور ،عواطف.. إلخ و هي كما أعبر عنها تماما، و نقول عن متكلم بأنه صريح عندما تكون ملفوظاته صريحة لا تضلله هو نفسه ،ولاتضلل غيره، لأن " في مستوى البنية والقصد أيضا توجد أوضاع متعسرة غير مناسبة " أنظر كتاب أوستين نظرية أفعال الكلام ص60.

غيرأن إمكانية الخلط و الوهم لا تعني اللاّحقيقة حسب هابرماس أو حتى اللاّصدق ،فهو يؤكد على أن المعقولية هي ادعاء بالصحة يراد به أن أمتلك مهارة ما مناسبة لعدد معين مناسب من القواعد ،و نقول عن تلفظ بانه معقول عندما يصبح بامكان أي شخص أخر يمتلك أنظمة القواعد نفسها، أي ينتج ذلك التلفظ ذاته ،و بهذا المعنى فإن ما نسميه الحقيقة التحليلية هي حالة خاصة من المعقولية .كما يجب التاكيد على ضرورة التفريق بين الحقيقة و ما يوصلنا إلى الحقيقة أو ما يدلنا عليها، فالحصول على الحقيقة شئ و أن تكون على حقيقة شئ أخر يختلف تماما عن الأول .

[20]فينلسون جيمس جوردن،**يورغن هابرماس،مقدمة قصيرة جدا**،تر،أحمد محمد الروحي،هنداوي للنشر،ط1 ،القاهرة،2015،ص51.

[21]Habermas J,**logique des sciensessociales**,op.cit,p 194.

[22] بول ريكو ، **من النص الى الفعل**، تر:محمد برادة وحسان بورقية،دار الأمان،ط1،الرباط،2004، ص133.

[23]Habermas J,**logique des sciensessociales**,op ;cit,p195.

[24] عادل مصطفى،**مدخل الى الهرمونيطيقا**،رؤية للنشر والتوزيع،ط1،2007 ،القاهرة،ص419.

[25]جون أوستين،**نظرية أفعال الكلام العامة**، تر:عبدالقادرقينيني، افريقيا الشرق، ط2 ، الدار البيضاء، 1998.ص.62.

* أنظر جورج يول **التداولية** ص83.

[26] Habermas J,**logique des scienses sociales**,op.cit,p201.

[27]ibid,p203.

[28]Habermas J,**logique des scienses sociales**,op.cit,p207.

[29]آلان هاو،**النظريةالنقدية،مدرسة فرانكفورت**،تر:ثائرذيب،دار العين للنشر،ط1 ، القاهرة ،2010،ص199.

[30]نيكلاس لومان،**مدخل الى نظرية الانساق**،تر يوسف فهمي حجازي،منشورات الجمل،بغداد،ط1 ،2010،ص289.

[31] محمد نورالدين أفاية،**الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة**،المرجع السابق،ص189.

[32]فينلسون جيمس جوردن **يورغن هابرماس ،مقدمة قصيرة جدا**،مرجع سابق ،ص56.

[33]يورغن هابرماس ، **الدين و العقلانية** ، تر حسن صقر ، دار الحوار ، ط1 ، 2016 ،ص209.